وصايا لأهل الجهاد

الدعاء سلاحكم يا أهل الجهاد

بقلم الشيخ؛ حمد بن عبد الله الحميدي

الحمد لله الذي جعل الدعاء من أشرف العبادات، وجعل التقرب إلى الله به من أعظم القربات، وأشهد أن لا إله إلا الله المتوحد بالكمال والجمال، له الأسماء الحسنى أمرنا أن ندعوه بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيهُ وخليلهُ، خيرُ من دعا ربه بالليل والنهار، وأكثرَ دعاءَه واستغفارَه بالأسحار، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فاعلم أيها المسلم...

أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

- **فدعاء المسألة:** هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}.

- **ودعاء العبادة:** هو دعاء الخوف والرجاء، قال تعالى: {وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}.

ومعلوم أن النوعين من الدعاء متلازمين، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}، فهذه الآية دلت على قرب الرب وإجابته لدعوة من دعاه.

فالقرب نوعان:

- قرب بعلمه من كل خلقه.

- وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والنصر والتأييد والتوفيق.

فما من داع يدعو بحضور قلب وانكسار وتذلل للرب ودعا بدعاء مشروع، ولم يكن عنده مانع من موانع إجابة الدعاء، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي

الاســتجابة لله تعــالى بالانقيــاد لأوامــره ونواهيه القولية والفعلية والإيمان به الموجب للاستجابة، إلا اســتجاب الله له.

فيا أهل الجهاد...

اعلموا أن الـدعاء من أعظم أسـباب النصـر، وهو من أقــوى الأســلحة للمــؤمن ضد عــدوه، وهو أعظم عبـادة تتقربون بها إلى ربكم.

عن النعمــان بن بشــير رضي الله عنه قــال ســمعت رســول الله صــلى الله عليه وســلم يقــول: (الــدعاء هو العبادة)، ثم قـال: {وَقَـالَ رَبُّكُمُ ادْعُـونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَـادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِـرِينَ} [رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجة والترمذي، وقال: حسن صحيح].

وروى مالك في الموطأ عن نــافع أنه ســمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو على الصــفا يــدعو يقــول: (اللهم إنك قلت: {ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ}، وإنك لا تخلف الميعاد, وإني أسالك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم).

فــانظر يا أخي - وفقنا الله وإيــاك - إلى عظيم فضل الله وكرمه ورحمته، كيف يدعو عباده إلى ما هو خـير لهم مما يصـــلح دينهم ودنيـــاهم وآخـــرتهم، مع غنـــاه عنهم وافتقــارهم إليــه، فكم دعــاهم إلى الجنة وإلى الصــراط المستقيم، كما قال تعالى: {وَاللّـهُ يَـدْعُو إِلَى دَارِ السَّـلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَـاءُ إِلَى صِـرَاطٍ مُّسْـتَقِيمٍ}، وكم دعا عبـاده إلى مغفرة ذنوبهم، كما قال تعـالى: {قَـالَتْ رُسُـلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}، ودعا عبـاده ونـاداهم بأن يدعوه فيستجيب لهم.

جاء في الصحيحين من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يـنزل ربنا تبـارك وتعـالى كل ليلة إلى السـماء الـدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول؛ من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟).

إذا علمت فضل الله عليك، فــازدد لله شـكراً بكـثرة دعائـه، لأن دعـاء الله من أعظم العبـادات وأفضـلها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

أخرج الحاكم وصححه أن ابن عباس رضي الله عنه قال: (أفضل العبادة الدعاء)، وقرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.

وروى أحمد في الزهد عن مطرف قال: (تذكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثير فالصلاة والصيام، وإذا هو في يد الله تعالى، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله فيعطيك).

فتبين أن الدعاء من أجل العبادات وأكرمها على الله.

فيا أهل الجهاد...

عليكم بالإلحاح على الله في الدعاء ورفع أكف الضراعة، فإن الدعاء من أعظم ما يجلبُ به النعماء ويدفع به الضراء، لأن الله وحده مالك الضر والنفع، الكاشف للضراء الجالب للسراء، المتصرف في خلقه كيف يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وهو على كل شيء قدير، قال الله تعالى: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ}، وقال: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ... الآية}، وهذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده هو المستحق للعبادة.

ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة: (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد) [متفق عليه، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه].

وكان يقول ذلك إذا رفع من الركوع،كما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع، قال: (ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)، وكذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا الذي وصى به النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمه عبد الله بن عباس، حين قال له: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء

لم يضـروك إلا بشـيء قد كتبه الله عليـك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [رواه أحمد والترمذي وصححه].

قال ابن رجب رحمه الله: (واعلم أن مدار جميع هـذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعـده فهو متفـرع عليه وراجع إليـه، فـإن العبد إذا علم أنه لا يصـيبه إلا ما كتب الله له من خـير وشر ونفع وضر وأن اجتهـاد الخلق كلهم على خلاف المقـدور غـير مفيد البتـة؛ علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النـافع المعطي المـانع، فـأوجب ذلك للعبد توحيد ربه وإفـراده بالطاعة وحفظ حـدوده، فـإن المعبـود إنما يقصد بعبادته جلب المنـافع ودفع المضـار، ولهـذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغـني عن عابـده شـيئاً ممن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غـير اللـه؛ أوجب له ذلك إفـراده بـالخوف والرجـاء والمحبة والسؤال والتضـرع والـدعاء وتقـديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً وأن يتقي سخطه ولو كان في سـخط الخلق جميعاً).

ثم قال: (وما أحسن قول بعضهم:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب).

فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب تـراب، فكيف يقـدم على طاعة شـيء من الـتراب على طاعة رب الأرباب؟! أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟! إن هذا لشيء عجاب!

فـإذا أيقن العبد بـأن الأمـور كلها بيد الله؛ أوجب عليه سؤاله، قال تعالى: {وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}.

وحث على أن يكون الـدعاء بإلحـاح وتـذلل واسـتكانة وخفيـة، قـال تعـالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، وقـال تعـالى: {قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}.

وأمرنا أن نخلص له وحـــده الـــدعاء بخلاف ما عليه المشركون، قال تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}، أي لا تريدوا ولا تقصدوا في دعـائكم إلا اللهَ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم لأن الكفار يكرهون إخلاصـكم لله غاية الكراهـة، كما قـال تعـالى: {وَإِذَا ذُكِـرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْـمَأَزَّتْ قُلُـوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِـالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

ولا يثنيّكم ذلك عن دينكم، قال تعالى: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْـطِ وَأَقِيمُـواْ وُجُـوهَكُمْ عِنـدَ كُـلِّ مَسْـجِدٍ وَادْعُـوهُ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ كَمَا بَـدَأَكُمْ تَعُـودُونَ}، أي أمـركم بالاسـتقامة في عبادته ومتابعة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم المؤيد من قبل ربـه، وأعظم ما يكـون ذلك هو بإخلاص الـدعاء والطاعة لله وحـده، قـال تعـالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً}.

<u>واعلم أخي المسـلم أن هنـاك أمـورًا منهيًّا عنها في الدعاء، منها:</u>

<u>1) الاستعجال أو الدعاء بإثم أو قطيعة رحم:</u>

لما أخـرج مسـلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه عن النبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال: (لا يـزال يسـتجاب للعبد مـالم يـدع بـإثم أو قطيعة رحم، ما لم يسـتعجل)، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: (يقول قد دعـوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء).

<u>2) الدعاء على الأهل والمال:</u>

عن جـابر بن عبد الله رضي الله عنهما قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (لا تـدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقـوا من الله سـاعة يسـأل فيها عطـاء فيسـتجيب لكم) [رواه مسـلم وأبو داود، وبـوَّب عليه؛ بـاب النهي أن يدعو الإنسان على أهله وماله].

<u>3) الدعاء بتمني الموت لضرٍّ نزل به:</u>

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: (لا يتمنين أحد الموت لضر نـزل به فـإن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كـانت الحيـاة خـيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي).

قـال أنس رضي الله عنه: (لـولا أني سـمعت النـبي صـلى الله عليه وسـلم يقـول: لا تتمنـوا المـوت، لتمنيتـه) [رواه البخاري ومسلم].

وفيهما عن قيس بن أبي حـــازم قـــال: (دخلنا على خبـاب وقد اكتـوى سـبع كيـات في بطنه، فقـال: لـولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نـدعو بـالموت، لدعوت به).

4) ألا يعلق دعاءه بالمشيئة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: (إذا دعا أحـدكم فليعـزم في الـدعاء، ولا يقل إن شئت فأعطني، فـإن الله لا مسـتكره لـه) [متفق عليه].

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم، قـال: (لا يقل أحـدكم اللهم اغفر لي إن شـئت، ارحمـني إن شـئت، ارزقـني إن شـئت، وليعـزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء، لا مكره له).

فدلت هذه النصوص على وجوب العزم في المسـألة، وتحريم تعليق ذلك بالمشـيئة، فـإن الله لا يتعاظمه شـيء أعطاه.

قـال سـفيان ابن عيينة رحمه اللــه: (لا يمنعن أحــداً الدعاء ما يعلم في نفسه - أي من التقصير - فـإن الله قد أجـــاب دعـــاء شر خلقه وهو إبليس، حين قـــال: {رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}).

وكذلك هناك أمور تكره في الدعاء، منها:

- السجع وهو موالاة الكلام على رويٍّ واحد.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه: (بـاب؛ ما يكـره في السجع في الدعاء).

ثم ذكر قول ابن عباس لعكرمة: (فـانظر السـجع من الدعاء فاجتنبه، فـإني عهـدت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلاّ ذلك الاجتناب).

واعلم أن المكـــروه في الســـجع هو المتكلف، لأنه لا يلائم حضور القلب والتذلل والضراعة.

- ويكره الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين، قد خَفَتَ فصار مثل الفَرْخ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟)، قال: نعم، كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله! لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)، قال: فدعا الله له فشفاه.

- ويكره الاعتداء في الدعاء ورفع الصوت، لقول الله تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

روى أحمد وأبو داود بإسناد جيد؛ أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سمع ابنه وهو يقول: (اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا... وكذا... وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا... وكذا...)، فقال: (يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سيكون قوم يعتدون في الدعاء، فإياك أن تكون منهم، إنك إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر)، زاد أحمد: قال له سعد: (قل: اللهم أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل).

وكذا جاء عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

وأما رفع الصوت؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا، فإنما تدعون سميعا بصيرا) [متفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه].

قال الحسن البصري رحمه الله: (إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر؛ فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى

يقـول: {ادْعُـواْ رَبَّكُمْ تَضَـرُّعاً وَخُفْيَـةً}، وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله، فقال: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً}).

واعلم أيها المســــــلم - وخاصة أنت أيها المجاهد -؛

أنك لن تخسر في دعائك أبـــداً، وهـــذا من فضل الله ورحمته وكرمه وجوده ولطفه بعباده.

أخرج أحمد بسند جيد من حـديث أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال: (ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطـاه الله بها إحـدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوتـه، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السـوء مثلها).

وجاء عند الترمذي وصـححه من حـديث عبـادة، وزاد: فقال رجل من القوم: إذاً نكثر، قال: (الله أكثر).

قـال ابن حجـر: (فائـدة الـدعاء هو تحصـيل الثـواب بامتثال الأمر، والاحتمال أن يكون المـدعو به موقوفا على الدعاء، لأن الله خالق الأسباب ومسبباتها).

بل أعظم من ذلك؛ معية الله لعبده الداعي.

في الصـحيحين عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم (إن الله يقـول؛ أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني) [هذا لفظ مسلم].

واعلم أخي المسلم...

بأن هناك أوقاتاً زمانيةً ومكانيةً يتحــرى فيها إجابة الدعاء:

من ذلك؛ الســـجود، وثلث الليل الآخـــر، وبين الأذان والإقامـة، وبعد الوضـوء، وبعد التشـهد، وأدبـار الصـلوات، وبعد فعل الطاعــــات، ودعـــــوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، وسـاعة يـوم الجمعـة، ومجـالس العلم، ويـوم عرفة لأهل عرفة، ودعوة المسافر، ودعوة الصائم، ودعوة المظلـوم، وعند ملاقاة العدو، وأن هذه قد صحت الآثار فيها.

وهناك آداب للدعاء، ومنها:

أن يكون على طهارة، واستقبال القبلة، ورفع اليدين، وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب، وافتتاح الدعاء بالحمد والثناء، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والسؤال بأسماء الله الحسنى، وأن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، وليعزم في المسألة بقلب حاضر وبتملق، وليقدم بين يدي دعائه صدقة، فمثل هذا - بإذن الله - لا يرد دعائه، إذا خلا من الموانع - كأكل الحرام أو شربه أو لبسه -

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل: (يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء؛ يا رب... يا رب... ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!) [رواه مسلم].

ويستحب للداعي أن يختار دعاءً جامعاً، وهذا من هديه صلى الله عليه وسلم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك) [رواه أبو داود بسند ثابت].

وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في حديث التشهد المشهور، قال صلى الله عليه وسلم: (ثم يختار من الدعاء أعجبه إليه فيدعوه).

وهناك أدعية جامعة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء بها، ويحث عليها.

كما جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: (كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

وأخرج مسلم من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: (اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني).

وروى أحمد وأبو داوود وابن ماجة؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفتى يقال له سُلَيْم: (يا سُلَيْم ماذا معك من القرآن؟)، قال: إني أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال

رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (وهل تصـير دنـدنتي ودندنة معـاذ إلا أن نسـأل الله الجنة ونعـوذ به من النـار)، ثم قال سليم: سترون غدا إذا التقى القوم إن شـاء اللـه، قال: والناس يتجهزون إلى أحد، فخرج وكان من الشـهداء رحمة الله ورضوانه عليه [هذا لفظ أحمد وسنده جيد].

وعن عبد الله بن حارث وأبي عثمـان النهـدي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: لا أحدثكم إلا ما كان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم حـدثنا به ويأمرنا أن نقـول: (اللهم إني أعـوذ بك من العجز والكسـل، والبخل والجبن، والهرم، وعذاب القـبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاهـا، اللهم إني أعـوذ بك من نفس لا تشـبع، ومن قلب لا يخشـع، ومن علم لا ينفـع، ودعاء لا يستجاب) [رواه مسلم والنسائي، وهذا لفظه].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قـال: لم يكن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يـدع هـؤلاء الـدعوات حين يمسي وحين يصـبح: (اللهم إني أسـألك العافية في الـدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومـالي، اللهم استر عـوراتي وآمن روعـاتي، اللهم احفظـني من بين يـدي ومن خلفي وعن يميـني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتـال من تحـتي) [رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة بإسناد ثابت].

فيا أهل الجهاد...

اعلمـوا أن قلـوب العبـاد بين أصـبعين من أصـابع الـرحمن، فاسـألوه أن يثبت قلـوبكم على هـذا المبـدأ العظيم الـذي خـذلكم فيه القاصي والـداني والعـالم والجاهل، إلا من منَّ الله عليه بالبصيرة في ذلك.

روى مسلم عن عبد الله بن عمـرو رضي الله عنهما؛ أنه سـمع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء)، ثم قال رسول اللـه: صـلى الله عليه وسـلم: (اللهم مصـرف القلـوب صـرف قلوبنا على طاعتك).

ثم نوصي كل من ظلم في سـجن أبيه أو أخيه أو ابنه أو ظلم في دينه أو دنياه أن يدعو على هؤلاء الطـواغيت - هم وأعـوانهم من "المبـاحث" والجنـود وغـيرهم - بـأن يذيقهم الله عقوبة يكون فيها شفاء لصـدور أهل الإيمـان، فإن دعوة المظلوم مستجابة ليس بينها وبين الله حجاب.

وكـذا لا تنسـوا أن تـدعوا لإخـوانكم المجاهـدين؛ بـأن ينصرهم الله ويؤيدهم ويخذل عدوهم وأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون.

واعلموا يا أهل الجهاد...

بأن المسؤولية عليكم أعظم، فأروا الله من أنفسـكم خـيرا، وأكـثروا من الـدعاء بالثبـات والنصر على عـدوكم، قـال تعـالى: {قُـلْ مَا يَعْبَـؤُ بِكُمْ رَبِّي لَـوْلَا دُعَـاؤُكُمْ}، فاستنصروا بربكم؛ ينصركم، واستعينوا به؛ يعنكم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يـدعو يقـول: (رب أعـني ولا تعن علي, وانصـــرني ولا تنصر علي, وامكر لي ولا تمكر علي, واهـدني ويسر الهـدى لي, وانصـرني على من بغى علي, ربي اجعلني لك شكّاراً, لك ذكّاراً, لك رهاباً, لك مطواعـاً, إليك مخبتـاً, لك أواها منيبـاً, رب تقبل توبـتي, واغسل حوبـتي, وأجب دعـوتي, وثبت حجـتي, واهد قلـبي, وسـدد لسـاني, واسـلل سـخيمة صـدري) [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه].

وهذا هو هدي نبيكم صلى الله عليه وسلم.

جاء في الصحيحين من حـديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقـول: دعا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب على المشركين، فقـال: (اللهم مـنزل الكتـاب, سـريع الحسـاب, اللهم اهـزم الأحـزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم)، وفي لفظ: (اهزمهم وانصرنا عليهم).

وعن عمر بن الخطـاب رضي الله عنه قـال: لما كـان يـوم بـدر, نظر رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إلى المشـركين وهم ألـف, وأصـحابه ثلاثمائة وتسـعة عشر رجلاً، فاستقبل نـبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربـه: (اللهم أنجز لي ما وعـدتني، اللهم آت ما وعـدتني، اللهم إن تهلك هـذه العصـابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)، فما زال يهتف بربه مـاداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيـه, فأتـاه أبو بكـر, فأخذ رداءه فألقـاه على منكبيـه, ثم التزمه من ورائـه, وقـال: يا نـبي اللـه! كفـاك مناشـدتك ربـك, فإنه سـينجز لك ما وعـدك، فـأنزل اللـه: {إِذْ تَسْـتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِـدُّكُم بِـأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَـةِ مُـرْدِفِينَ} [رواه مسلم].

وفي غزوة حنين قال البراء رضي الله عنه: فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزل نصرك) [رواه مسلم].

وكذا لا تنسوا الدعاء عند ملاقاة العدو، فإنها من أعظم أسباب النصر والثبات، قال تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}.

تنبيه:

واعلم أن من أعظم الشرك على وجه الأرض هو صرف هذه العبادة العظيمة الجليلة لغير الله، وهو أكبر شركِ المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحل دمائهم وأموالهم وسبى ذراريهم ونساءهم، وأكثر شرك العالم اليوم هو دعاؤهم غير الله في تفريج الكربات, وإغاثة اللهفات.

بل بلغ الأمر؛ إلى أن سألوهم مغفرة الذنوب, وترجيح الموازين, ودخول الجنات, والنجاة من النار, والتثبيت عند الموت والسؤال, وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب إلا من الله.

وهذا الشرك قد انتشر انتشاراً عظيماً حتى في أعظم المقدسات، فما تطوف حول الكعبة، ولا بين الصفا والمروة, إلا وتسمع من ينادي بأعلى صوته؛ يا محمد! ويا علي! ويا فاطمة! ويا حسين! ويا بدوي! وغير هؤلاء ممن يدعى من دون الله، ولا تذهب لزيارة المسجد النبوي إلا وترى العجب العجاب من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره، وإذا ذهبت إلى البقيع لزيارة المقبرة والسلام على أهلها رأيت الجموع الغفيرة والبكاء والنحيب ودعاء الموتى، وربما تسمع ذلك بمكبرات الصوت.

وإذا أردت أن تنكر هذا الشرك أو تفكر بالإنكار؛ لقام عليك حزب الشيطان وجند الطاغوت من "الطوارئ" و

"المباحث" وغيرهم بالضرب والذهاب بك إلى السجن، وبأمر من؟ بأمر من هم "حماة التوحيد" - زعموا! -

فيا ترى أيهم أعظم؛ كفر هؤلاء المشركين أم حماتهم؟

وتعجب كل العجب أيضا من عدم إنكار خطباء الحرمين وعلمائها وقضاتها لهذا الشرك الذي رأوه وسمعوا عنه، فاتقوا الله وقوموا بإنكار هذا الشرك، ولا يكن رضى الحكام المرتدين أعظم عندكم من سخط الله، وأن رضاهم أحب إليكم من رضا ربكم، ولا يكن حبكم للدينار والدرهم أحب إليكم من جنة عرضها السماوات والأرض.

وتعجب وتقول؛ أهذه الديار التي طهرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من هذا الشرك؟! وإذا بهذا الشرك يعلن به عند قبورهم.

فيا خطباء الحرمين...

توبوا إلى ربكم وعودوا إلى رشدكم، وأنكروا هذا المنكر العظيم، واحذروا مما أنتم فيه من التلبيس والتدليس، والحرب على أهل التوحيد والسُنة - وخاصة المجاهدين ومن ينُكر هذه المنكرات - قال تعالى: {وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً}، واعلموا أن سكوتكم فتنة عظيمة، قال تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}، فالشرك وعدم التبرؤ منه ومن أهله وعدم إنكاره هو الفتنة.

هذا وأسأل الله أن يطهر بلاد الجزيرة - وخاصة الحرمين - من كل مشرك ومرتد، ومن كل كافر وملحد، وأسأله جل وعلا أن ينصر كل من أراد تطهير الجزيرة وأخذ بوصية نبيه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته التي قال فيها: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب).

وقال: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان).

وأسأله أن ينصر المجاهدين في جزيرة العرب وفي أفغانستان وفي العراق وفي الجزائر وفي فلسطين وفي الفلبين وفي الشيشان، وأن ينصر كل من رفع راية التوحيد وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وأسأله أن يرزقنا شهادة تحت هذه الراية.

وصلى الله وسلم وبارك على من كانت منيته شهادة في سبيله؛ نبينا محمد

وعلى آله وأزواجه وأصحابه
ومن سار على سبيله وطريقته إلى يوم الدين



عن مجلة صوت الجهاد
العدد الخامس والعشرون؛
شعبان، 1425 هـ